محاضرات مادة: نظرية العلاقات الدولية

السنة الثانية ليسانس – علوم سياسية

الأستاذ: *عبد الغاني دندان*

المحور الثاني: المحاضرة: 8 - 2

النظرية البنائية في العلاقات الدولية 2

1. البنائية ومشكلة الفاعل/البنية: Agent/structure problem

لقد جرى تناول هذا النقاش بداية في علم الاجتماع، ودار حول: هل تُفَسَّرُ الظواهر الاجتماعية بإرجاعها إلى أفعال الأفراد ودوافعهم؟ أم أن ذلك لن يتأتى إلا بالرجوع إلى المجتمع وهياكله؟ وهناك اختلاف في الأدبيات حول الفاعل: هل هو الفرد الواحد كما يرى جيدنز؟ أم أن الطبقات الاجتماعية يمكن أن تكون الفواعل حسب اتجاه تورين؟ أم أنه يمكن المزج بين الاتجاهين فيمكن أن يكون الفاعل فرداً أو مجموعة؟ وهو رأي توفيقي جاء به كروز وفرايدبيج. كما أن هناك اختلاف حول البنية، فهل هي بنية محددة ومركزية مثل المنظمة في مكان العمل؟ أم هي علاقات الهيمنة الاجتماعية، كما توجد في المؤسسات السياسية والمنظمات؟ أم أن البنية متعددة وتشمل البيروقراطية، والنظام السياسي، والاقتصاد، والدين.

لقد حاولت البنائية إيجاد حل لإشكالية علاقة الفاعل Agent بالبنية أو الموضوع Structure.فعلى عكس النظريات التفسيرية، ترى النظرية البنائية أن للبنية أربع خصائص؛ فهي حقيقية Réelle لتواجدها ضمن زمن تاريخي حقيقي؛ اجتماعية Sociale، تذاتانية Intersubjective بالإضافة إلى النظر إليها على أنها مسار أو عملية Processus أكثر منها سبب Cause. فالبنى الدولية كالفوضى مثلا ليس لها وجود أو آثار بمعزل عن الأفكار المتبناة من طرف الفواعل الاجتماعية. لذا فالبنية ليست سببا كما هي عند waltz ولكنها مسار أو عملية مفتوحة لبناء معنى مشترك. وعليه يعتقد wendt

"إن المساعدة الذاتية وسياسة القوة لا تنجمان منطقيا أو سببيا من الفوضى. وإذا كنا اليوم نجد أنفسنا في عالم المساعدة الذاتية فإن هذا يعود إلى العملية لا إلى البنية. فلا يوجد منطق للفوضى بمعزل عن الممارسات التي تُوجِدُ وتعيد إنتاج بنية من الهويات والمصالح بدلا من بنية أخرى. وليس للبنية وجود أو أثر سببي خارج العملية. إن المساعدة الذاتية وسياسة القوة مؤسستان أكثر منهما سمتان أساسيتان للفوضى. فالفوضى هي ما تصنعه الدول."

وتتشكل البنية المنظمة لسلوكياتنا وأفعالنا حسب تصورات Wendt من ثلاث عناصر أساسية:

- عبر المعارف والمعاني الجماعية المشتركة والمنبثقة عن التفاعل بين الفواعل الاجتماعية؛
- المصادر المادية والتي لا تتخذ معنا/صبغة أو لا تبرز قيمتها الفعلية إلا من خلال تأويلات الفاعلين التي تنعكس على ممارساتهم؛
- ممارسات هؤلاء الفاعلين.

وعليه يحاول البنائيون ربط البنى والفاعلين وإدراكاتهم للواقع في علاقة جدلية عكس النظريات الواقعية التي تفصل بينهما وتمنح أهمية لأحدهما على الآخر؛ فهم -أي البنائيون-لا يعتقدون بوجود واقع اجتماعي خارجي موضوعي معطى بعينه، لأن الواقع الاجتماعي- عندهم-ليس وحدة مادية أو طبيعية أو شيء مادي خارج الوعي الإنساني Human Consciousness .

"فالنظام الدولي[كبنية] ليس كالنظام الشمسي، غير موجود بالفطرة، ولا يشكل نفسه بنفسه، كينونته مرهونة بكينونة البشر.إن النظام الدولي هو من اختراع الإنسان .فهو نتاج للفكر الإنساني الصرف، مجموعة من الأفكار، بناء فكري، نظام للقيم والمعايير التي نظمت من طرف بني البشر في سياق زمكاني متصل.وإذا تغيرت الأفكار التي تدخل في العلاقات الدولية القائمة، فإن النظام نفسه سيتغير معها كذلك، لأن النظام يتضمن تلك الأفكار."

وعلى اعتبار wendt من الأوائل الذين أثاروا هذه المسألة في حقل العلاقات الدولية، فهو يرى أن النظريات المعاصرة للنظام العالمي تحتاج إلى أن تتضمن تركيزاً على الفواعل/الدول[1]، بنفس نمط تركيزها الحالي على البنى لأنهما عنصران متلازمان أو وجهان لعملة واحدة.

2. الهويات والمصالح في السّياسة العالمية:

يعد مفهومي الهوية Identityوالمصلحة Interest من بين أهم الأدوات التحليلية عند البنائيين. فمن وجهة نظرهم، تتمتع كل دولة بهويتها الخاصة المشكلة اجتماعيا عبر المعايير، القيم، والأفكار المؤسساتية للبيئة الاجتماعية التي تتفاعل فيها الدول.

> **"فالهويات لا تخرج عن كونها علاقات اجتماعية تتغير عبر الزمن والسياقات [...] ولكونها كذلك، فهي ليست بصفات ثابتة للأفراد أو الجماعات؛ فالأفراد ينتجون ويعيدون إنتاج ذواتهم أكثر من كونها قد خلقت معهم."**

فالدول تتمتع بهوية مؤسسية تُوَلِّدُ من خلالها أهدافها الرئيسية كالأمن والاستقرار أو التنمية الاقتصادية. ويعتمد تحقيقها لمثل هذه الأهداف على هوياتها الاجتماعية؛ أي كيف تنظر الدول لنفسها في مقابل بالدول الأخرى في المجتمع الدولي. وعليه فهي تقوم ببناء مصالحها الوطنية على أساس هذه الهويات. ومن المهم إدراك المعنى الحقيقي لـــلمؤسسة عند البنائيين؛ فهم يرون في المؤسسة مجموعة ثابتة -مستقرة نسبيا -مُؤَلَّفة من هويات ومصالح. كما أنها عبارة عن كيانات إدراكية أو معطيات معرفية لا يمكن الفصل بينها وبين أفكار الفاعلين حول الطريقة التي يعمل بها العالم. وبناءً على هذه الرؤية، فإن المؤسسات هي عملية استيعاب داخلي للهويات والمصالح الجديدة، وليست مسعىً يقع خارجها ويؤثر فقط في السلوك.

لقد قامت الاتجاهات التفسيرية -الليبرالية والواقعية الجديدتين على وجه الخصوص وفقا لأنصار الاتجاه البنائي -بالتركيز على مسألة تعظيم المنافع بعيدا عن متغير الهوية [2]، وهي بهذا تبقى عاجزة عن تقديم إجابات واضحة

---

1 يعتقد wendt أن أهم الأطراف الفاعلة في السياسة العالمية هي الدول، وأن سيطرتها سوف تستمر.

2 يؤدي متغير الهوية والتركيز على تحليلها وفقا للبنائيين دورا مهما في إمكانية التكهن بحدوث التغيير أم لا في السياسة العالمية. ففي مجال الهوية هناك منافسة مستمرة حول السيطرة على القوة الكامنة في إنتاج المعاني داخل المجموعة الاجتماعية. ويأتي التغيير في السياسة العالمية بعد أن يقوم الفاعلون عبر ممارساتهم

عن أسئلة هامة من قبيل: كيف تَمَكَّنَ الفاعلون في العلاقات الدولية من تكوين هوياتهم الحالية، والمصالح المتولدة عنها؟ وكيف سيجري التغيير المستقبلي في المصالح وفي الهويات؟

فالواقعية الجديدة مثلا تقوم بافتراض أن كل الوحدات في السياسة العالمية لها هوية واحدة. و هذا يعني أن الدولة وفي مختلف الأوقات والأماكن، تنطلق داخلياً من فهم ثابت، وغير متغير ومحدد ومعروف سلفاً لهويتها. أما البنائية، فهي ترى أن هوية الدولة وتحديدها لماهية نفسها متغيرة، وتعتمد على الأطر التاريخية والثقافية والاجتماعية. لذا، فإن فهم الهويات محوري لفهم السياسة العالمية. فالهويات تؤثر في المصالح والأفضليات، حيث إن هوية الدولة تعكس أفضلياتها وأفعالها القادمة. وتفهم الدولة الآخرين بناءً على الهويات التي تضفيها عليهم، بينما تقوم في الوقت نفسه بإعادة إنتاج هويتها من خلال التفاعل الاجتماعي الدائم. [3]

ويعتقد Wendt أن الهويات سابقة للمصالح، وذلك لأن

> **"الهويات تحدد ماهية الفاعلين، في حين تعكس المصالح ما يود هؤلاء الفاعلون الحصول عليه. فالمصالح تقتضي وجود الهويات؛ فالفاعل لا يمكنه أن يحدد مصلحته من دون أن يعرف من هو أولا."**

غير أن الهويات وحدها لا تفسِّر الأفعال، وهذا يعني أن الهويات من دون مصالح تفتقد الرغبة الدافعة، كما أن المصالح من دون هويات تفتقد الوجهة والطريق. وعلى عكس النظريات الواقعية التي ترى أن المصالح محددة سلفا، فإن البنائيين يعتقدون أنها قد تتبدل على المستوى العام شأنها شأن الهويات لاعتمادها على الممارسات والتفاعلات التي تثيرها المؤسسات.

بتغيير القواعد والمثل المؤسسة للتفاعل الدولي. وهذا يحدث عندما تتغير معتقدات وهويات الفاعلين المحليين. وقد تناول العديد من الدارسين البنائيين مسألة التغير في السياسة العالمية .فعلى سبيل المثال، هناك دراسة ريجي حول إمكان تغيّر النظام العالمي إذا ما انتصر الاتحاد السوفيتي أو ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، حيث يحمل كلّ منهما هوية مختلفة عن هوية الولايات المتحدة الأمريكية، ونتيجة لذلك فإن سمات النظام العالمي كانت ستتغير تبعاً لتغير الهويات.

3 غير أن العديد من النقاد يشيرون إلى أننا لا نُقْبِلُ على التفاعلات من دون هوية مسبقة، وبدلا من أن تتكون هوياتنا عبر التفاعل فإنها تسبق ذلك جزئيا.